

ابن خلدون بين النزعة التاريخية والمنهج العلمي
Ibn Khaldun between historical tendency and scientific
methodology

تاريخ النشر: 2026/04/30

تاريخ القبول: 2026/04/04

تاريخ الإرسال: 2026/01/05

إيمان بومدين¹EMAIL : imane.boumediene@ummtto.dz ، جامعة تيزي وزو ، الجزائر ،¹<https://orcid.org/0009-0004-0397-9207>

الملخص

ابن خلدون هو من أوائل المفكرين الذين تجاوزوا السرد التقليدي للتاريخ متجها نحو تحليل علمي للوقائع التاريخية، إذ جمع بين النزعة التاريخية بوصفه مؤرخاً يروي الأحداث، والمنهج العلمي بوصفه محللاً يسعى إلى فهم القوانين التي تحكم المجتمعات والدول. فقد اعتبر أن التاريخ ليس مجرد أخبار، بل هو مجال للتحقيق العقلي والاجتماعي، وتم الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي وذلك من أجل فهم القوانين والأنماط التي تحكم المجتمعات والدول واعتبار التاريخ مجالا للتحقيق العقلي، وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز إسهام ابن خلدون في تطوير الفكر التاريخي والاجتماعي من خلال الجمع بين رواية الوقائع التاريخية وتحليلها بمنهج عقلي نقدي، ومن خلال هذه الورقة البحثية تم التوصل إلى التأكيد على دور ابن خلدون كمؤسس لعلم الاجتماع ومؤرخ ينفرد بأسلوبه الفريد الذي يجمع بين السرد والتحليل، بالإضافة إلى تشجيع الباحثين على استكشاف أفكار ابن خلدون ومنهجه التاريخي.

الكلمات المفتاحية: النزعة التاريخية، المنهج العلمي، الوقائع التاريخية، منهج عقلي نقدي.

المؤلف المرسل: إيمان بومدين، الإيميل: imane.boumediene@ummtto.dz.

Abstract :

Ibn Khaldun was one of the first thinkers to move beyond the traditional narrative of history towards a scientific analysis of historical events; he combined a historical approach—as a historian recounting events—with a scientific method—as an analyst seeking to understand the laws governing societies and states. He considered history not merely as news, but as a field of intellectual and social inquiry, and relied on a critical analytical approach in order to understand the laws and patterns governing societies and states, and to regard history as a field of intellectual inquiry. This study aims to highlight Ibn Khaldun's contribution to the development of historical and social thought by combining the narration of historical facts with their analysis using a critical intellectual approach. Through this research paper, it has been established that Ibn Khaldun played a pivotal role as the founder of sociology and as a historian distinguished by his unique style, which combines narration and analysis, whilst also encouraging researchers to explore Ibn Khaldun's ideas and his historical methodology.

Keywords: historicism, scientific method, historical events, critical intellectual

1. مقدمة:

يعد عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406م) من أبرز المفكرين في التاريخ الإسلامي والعالمي، وقد شكلت "المقدمة" التي وضعها لكتابه "العبر" ثورة فكرية حقيقية في التعامل مع التاريخ. فقد تجاوز ابن خلدون الطابع التقليدي لكتابة التاريخ القائم على النقل والتجميع، إلى منهج نقدي تحليلي يعتمد على العقل والملاحظة، مؤسسًا بذلك ما يُعرف اليوم بـ "علم الاجتماع التاريخي" أو "علم العمران".

لم يقتصر توجه ابن خلدون على إتباع منهج من مناهج من سبقوه أو تقليد توجهاتهم ولا تبني لأي من مذاهبهم، بل أبى إلا أن يكون هو المؤسس للمنهج الجديد الذي



سوف يحتذي به من لحقوه ، والمختلف كل الاختلاف عمن سبقوه ، سواء في تأصيله لدورة الحضارة أو تحليله الهرمي لمفاهيم المؤسسة ، في مجال علم التاريخ أو الاجتماع ، انطلاقا من مفهوم العصبية إلى غاية مفهوم العمران . فرغم تأثره بمن سبقوه من علماء المسلمين والإغريق ، خاصة أرسطو ومنهجه الاستنباطي ، إلا انه استطاع أن يؤسس لأفكاره الخاصة الأصيلة ويطورها ، وذلك من خلال انتقاده لتلك المصادر التي رغم تأثره بها ، لم يبقى حبيس مضامينها ومنهجها بل استطاع أن يستخرج مواطن النقص فيها وهفواتها ، بالتالي تصحيحها وإصلاحها وإقامة بدلها منهجا علميا كفيلا بالإتباع .

هذا من اجل تنقية عمل المؤرخ وتنقيحه ، وجعله اقرب من اللوغوس عوض الميتوس الذي طغى على الفكر ككل ، وعلى علم التاريخ بالخصوص . فقد انتبه إلى الركود والجمود الذي ساد الحضارة والفكر الوسيطى ومآلته ، بسبب طغيان التوجه الدوغمائي السكولائي لدى المدرسين المسيحيين ، والفقيهي الأرثوذكسي لدى المسلمين على حد سواء . حيث أدى طغيان الفكر الفلسفي والمنطقي ببعده الأرسطي إلى تقديس شخص أرسطو وآرائه الفلسفية. اذ كان يكفي ذكر اسم أرسطو في سجال أو مناظرة فلسفية أو علمية حتى تكون الغلبة والحجة لصاحب الفكرة ، وذلك تحت طائلة ما يسمى بحجة القوة أو السلطة.

2.1. اشكالية الدراسة:

وعليه تكمن أهمية ابن خلدون في كونه أول من نظر إلى التاريخ كعلم له قوانينه الموضوعية، لا مجرد سجل للحوادث ، وان التاريخ في باطنه يقوم على التعليل والتحقيق ، وهو بذلك جسّد توازنًا فريدًا بين النزعة التاريخية من حيث توثيق الماضي، والمنهج العلمي من حيث تفسيره وتحليله وفق سنن اجتماعية. و قد جعل هذا التوازن من فكره مرجعًا أساسيًا في الدراسات الاجتماعية، ومصدرًا مهمًا للفكر النقدي في التراث الإسلامي والإنساني ، ومن خلال ماسبق يمكن طرح التساؤل الرئيسي التالي :



التساؤل الرئيسي : هل هناك علاقة بين النزعة التاريخية والمنهج العلمي في تحليل التاريخ والعمران البشري عند ابن خلدون؟
التساؤلات الجزئية :

1- ما المقصود بالنزعة التاريخية والمنهج العلمي في فكر ابن خلدون؟

2- ما هي الأدوات المعرفية والمنهجية التي استخدمها ابن خلدون؟

3.1. اهداف الدراسة:

وضوح الاهداف يجعل الدراسة او الموضوع قيد الدراسة يقوم على اسس علمية صحيحة ، فعندما يعرف الهدف يسهل على الباحث دراسة الظاهرة وابعادها والكشف عن مسبباتها والاجابة عن تساؤلاتها وعليه تهدف هذه الدراسة الى :

• التعرف على مفهوم النزعة التاريخية والمنهج العلمي عند ابن خلدون .

• معرفة مظاهر النزعة التاريخية في فكر ابن خلدون .

• التعرف على ملامح المنهج عند ابن خلدون.

2. تحديد مصطلحات الدراسة

1.2 النزعة التاريخية

الطابع التاريخي في فكر ابن خلدون يظهر من خلال اهتمامه بتسجيل الوقائع التاريخية بدقة ، ولم يتناولها كحوادث منفصلة ، وانما حاول ربطها بسياقها الاجتماعي والاقتصادي ، كما اكد على ضرورة التمحيص العقلي والنقد التاريخي لا على الروايات .

2.2 المنهج العلمي

الاسس العلمية التي اعتمد عليها ابن خلدون في دراساته تتمثل في الملاحظة والاستقراء والنقد المنهجي ، بحيث لم يكن هدفه فقد سرد وتسجيل التاريخ ، بل تفسيره واستخلاص قوانين عامة تحكم سير المجتمعات و الدول، وقد وضع اسسا معرفية تقترب مما يعرف اليوم بالبحث السوسيولوجي ، مثل :

- الاعتماد على منهج سببي في تحليل وتفسير التاريخ وليس على الغيبيات والاساطير (خلدون 2014).

- تفسير الظواهر من خلال العصبية التي تعتبر اساس قيام الدولة بالاضافة الى التعاقب الدوري للدولة.

- تحليل العوامل الاجتماعية والاقتصادية في قيام الدول.

3. مظاهر النزعة التاريخية في فكر ابن خلدون

1.3 التحليل الزمني للظواهر:

لم يفصل ابن خلدون الحدث عن ظرفه الزمني ، بل كان يسعى الى فهم الـ"لماذا" لا فقط ماذا حصل ، وكان يفسر الظواهر سواء كانت سياسية او اجتماعية او اقتصادية ضمن مراحل تاريخية معينة تمر بها المجتمعات من البدوة الى الحضرة ، ومن القوة الى الترف الى الانهيار والاضمحلال .

2.3 الوعي بالدينامية التاريخية:

يرى ابن خلدون ان التاريخ هو حركة تطورية خاضعة لقوانين ولا يقوم على التكرار ، وتظهر هذه الحركة في الدورة التكوينية التي تمر بها الدولة عبر 3 مراحل :

* التأسيس بالقوة والعصبية التي تكون فيها الدولة في مرحلة النشوء والتكوين .

* الازدهار بالاستقرار والعمران .

* الانهيار بالتلف والفساد .

وهذه الدورة لا تقوم بطريقة عشوائية بل تتكرر تاريخيا ، وهذا مايعبر عن الدينامية التاريخية للزمن الاجتماعي.

3.3 تفكيك وهم الثبات ونقد الازلية

كان ابن خلدون يؤمن بالتغير كقانون عام ، على عكس الفكر الفقهي او الكلامي الذي يميل الى الاعتماد على الاستقرار والثبات في تفسير الظواهر وربطها بالمطلق ، فالمجتمع ليس بناء ثابتا وانما يشبه الكائن الحي الذي ينمو ويتطور ويشيخ ويموت.

وهذا التغير التاريخي مرتبط بعوامل مادية وداخلية واجتماعية ، لا عوامل ميتافيزيقية.

4. ملامح المنهج عند ابن خلدون

كان أول ما ركز عليه ابن خلدون بالنقد والتمحيص في مجال علم التاريخ ، هو منهج التقليد والتبعية للقدامى تبعية عمياء تقصي دور العقل في تحليل الوقائع وفهمها ، ودور الحواس في الملاحظة والاستقصاء ، وتضفي القدسية على بعض المفكرين دون سواهم . ما استوجب بالتالي إحداث قطيعة مع ذلك التوجه من اجل إقامة ما يسميه ب "العلم الجديد" (Megherbi, 1980,p85) ، الذي سوف يقيمه على أسس منهجية جديدة . لذلك نجده يتوقف ليس فقط عند مفهوم التاريخ لدى المؤرخين المسلمين وطبيعة العمل التاريخي لديهم وسبيلهم في ذلك ، بل راح يتعمق ويفصل في نظرة وطريقة كل مؤرخ وعالم على حدا .

فعلم التاريخ لدى الأوائل لم يكن ينال ذلك النصيب الذي أصبح بعده ، رغم محاولة العديد من المفكرين إرساء قواعد منهجية مضبوطة ومعرفية إصلاحية ، والتي بقيت معزولة حتى مجيء صاحب المقدمة . فقد كان هذا العلم مجرد روايات لوقائع منفصلة شغلت الذاكرة الجماعية التي يكون أغلبها التراث الديني والأثر ، فكان التاريخ في أغلبه تابعا وخادما للثيولوجيا لا أكثر ، سواء لدى الغزالي ، إخوان الصفا أو الخوارزمي ، بل كان غائبا تماما في مجال تصنيف العلوم حتى لدى ابن خلدون ذاته (Megherbi, 1980,p 61) .

لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا ، هو أن عدم اهتمام ابن خلدون ، بل وانتقاداته لم تتوجه نحو علم التاريخ كما نعرفه اليوم أو كما عمد هو فيما بعد إلى إقامة أواصره ودعائمه . فانتقاداته كانت موجهة إلى الطريقة التي كانت يتم بها التعامل مع الحقائق والوقائع ، وخاصة الغاية منها وطبيعة تلك الوقائع التي كان يتم التركيز عليها لدى الرواة . حيث كان الرواة يركزون على ما يجلب لهم الربح والمصلحة والفائدة لدى الحكام ، فراحوا يهتمون

فقط بأمور البلاط وحياة الحكام والخلفاء وكل ما يدور حول طريقة عيشهم وشؤونهم الخاصة ووصف مدنها . طريقة تجعل من علم التاريخ ابعدا ما يكون عليه من أن يكون اهتماما فكريا ، بالتالي فهو بلا فائدة في فهم الأمور ، بل هو مجموعة روايات منفصلة فارغة المضمون وخالية من المعنى ، بل لا يتعدى أن يكون اهتماما وممارسة إدارية (Megherbi, 1980, p 62) .

يوجه ابن خلدون انتقاداته إلى صنفين من المؤرخين ، الجامعون Les compilateurs ، الذين يجمعون وقائع أو حوادث خاصة يذكرون بالتفصيل زمانها ومكانها ، أو رواية يخصصونها لمدح خليفة أو حاكم . أما النوع الثاني فهم المؤرخون الأصلاء ، لكن تبقى أصالتهم محدودة ونسبية ، وهم قلة يمكن عددهم لأنهم معروفون بأعمالهم قبل أسماءهم في ذلك الوقت ، وهم : الطبري ، ابن إسحاق ، الواقدي ، الاسدي ، ابن الكلبي والمسعودي ، وقد اعترف لهم بالريادة في هذا العلم ، حيث كتب في المقدمة : " أكيد ، فالمختصون يعرفونه جيدا ، كتب المسعودي والواقدي هي محل نقاش لاعتبارات معينة . إلا أن معلوماتهم مقبولة في كل مكان ومناهجهم وطريقة تمثيلهم للوقائع متبعة." (خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، 2004، الصفحة 07)

هذا دليل على أن صاحب المقدمة لم ينطلق من العدم . فرغم انفراده بالمنهج العلمي النقدي القائم على الدمج بين النظر العقلي والملاحظة الحسية ، أي الجمع بين البرهان والاستنباط التحليلي ، من جهة ، والاستقراء التركيبي ، من جهة أخرى ، إلا أن إرهاسات هذا المنهج كانت قائمة لدى سابقه . وما قام به هو الملفت للنظر ، أي تلك الطريقة العلمية في الدمج بين أوجه النظر ومراحل الانتقال والتسلسل المنطقي النسقي في الربط بين الأحداث وإعادة بناءها بناء علميا رصينا ، كفيل بتفسيرها تفسيراً صحيحاً .

5. أركان المنهج العلمي عند ابن خلدون:

1/ وضع القطيعة مع المنهج التقليدي: انتقد ابن خلدون المؤرخين السابقين لاعتمادهم على النقل دون تمحيص، ورفض الفلسفة اليونانية الصورية، مركّزاً على دراسة الواقع الاجتماعي كما هو.

2/ علم العمران البشري: أسس علماً مستقلاً يبحث في طبائع الاجتماع الإنساني، وما يلحقه من عوارض (كالبداءة، الحضارة، المعاش، الملك).

3/ الاستقراء والملاحظة: اعتمد على الملاحظة الحسية للظواهر الاجتماعية ومقارنة الوقائع التاريخية لاستنباط القوانين العامة الحاكمة لها، مما يجعله قريباً من المنهج التجريبي.

4/ النقد الداخلي للوثيقة: وضع معياراً مزدوجاً لصدق الخبر:

-مطابقته للواقع والعقل (طبائع العمران)

-النقد التحليلي للأخبار التاريخية لتنقيحها من الأكاذيب والأساطير.

5/ التعليل والسببية: لم يكتفِ بوصف الأحداث، بل بحث عن أسبابها العميقة والعلاقات بين الحقائق المختلفة. بذلك، جعل ابن خلدون من التاريخ علماً له أصول وقواعد، مستبقاً بذلك مناهج البحث الحديثة بقرون.

6. الاخطاء التي يقع فيها المؤرخون حسب رأي ابن خلدون

لكن رغم هذا ، فان انتقادات ابن خلدون لم تتوجه إلى سابقه بذواتهم ، إنما إلى مخطوطاتهم وطريقة كتابتها التي كانت تطبع منهجهم ، يقول في هذا الصدد : "لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا وسمينا، ليعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشبابها ولا سبروها بمعيار الحكمة " ، وهي سبع أخطاء :

- الروح التبعية أو التشيع للمذاهب ، ويقصد بها التعصب لتوجه أو لمذهب من المذاهب وإضفاء القدسية على صاحب المذهب ولآرائه ، كما يحدث غالبا في مجال الفقه وأصول الفقه والحديث. ويعد هذا العيب من اخطر العيوب التي قد

تصيب الباحث في وثوقيته وموضوعيته وحياده ، فتقوده إلى الذاتية والدوغمائية والتعصب على حد سواء ، فيقبل ما يتوافق مع معتقداته ويرفض ما يخالف ميولاته . وقد وصف ابن خلدون هذا الميل في المقدمة كما يلي : ((إننا لنفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمهيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه ؛ وإذا خامرها تشيع لرأي أو نَحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها من الانتقاد والتمحيص ، فتقع في قبول الكذب ونقله" . (خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، 2004 ، الصفحة 125)

- الثقة العمياء في المعلومات ، أي أن المؤرخ ينقل ما يرد إليه من إخبار من طرف الرواة دون تمحيص ، مما يجعل الخطأ خطأ مزدوجا ، خطأ الناقل أو الراوي ثم خطأ المؤرخ الذي يبني عليه أحكامه وتحليله دون نقد وتمحيص ، يقول في هذا الصدد : "وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الإثبات ، ومشهور بين الحفظة الثقات ، إلا أن الكافة اختصهم بقبول أخبارهم ، واقتفاء سننهم في التصنيف وأتباع آثارهم " (خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، 2004 ، الصفحة 07).

- الجهل بالمعنى الواقعي للحادثة : وهذا يحدث عندما يجهل المؤرخ بالسياق الاجتماعي والثقافي للحدث ، وذلك نتيجة لنقله نقلا اعمي دون فهم أسباب حدوثه والعوامل التي ساهمت في ذلك ، فيتعذر فعم معناه ودلالاته .

- الادعاء بامتلاك الحقيقة : وهي صفة سلبية متوارثة وشائعة لدى العديد من المفكرين ، أين يصبح وهم امتلاك الحقيقة المطلقة واقعا يطغى على عقل المفكر وذهنه ، فيدخل بذلك في هوس الرأي بدل المعرفة ، ويتخيل له أن كل ما يصدر عنه حقيقة وما يصدر عن الآخرين غلط .

كما يضيف التورية المتعمدة ، الإحكام المفرط ، والجهل . وهو ما يمكن تلخيصه في ثلاث خصائص لدى المؤرخ : التمثلات الجامعية ، وثوقية الباحث ، ومستوى المعرفة (Megherbi, 1980 , p69) . (فانطلاقاً من هذه النقاط السلبية التي ركز عليها في منهج القدامى ، استطاع ابن خلدون أن يحدد موضع الخلل والفراغات الفكرية التي حالت دون التأسيس لمنهج علمي صارم في مجال علم التاريخ والاجتماع والانثروبولوجيا .ومن خلال سد ثغراتها توصل إلى إرساء دعائم ما يسميه ب " العلم الجديد " . هو ذلك العلم الذي عبر عنه المؤرخ الألماني ارنولد توينبي بعبارة الخاصة قائلا : " ابن خلدون صاغ فلسفة للتاريخ ، التي بدون شك اكبر عمل لم يسبق أن قام به أي روح ، في أي زمن وفي أي مكان . (Megherbi, 1980 , p 96)"

إن تصور توينبي لعمل ابن خلدون في المقدمة لا يختلف عن تصوره لأعمال من تأثر بهم من الفلاسفة الغربيين كالفيلسوف الإيطالي جيامباتيستا فيكو في مفهومه للعلم الجديد وفلسفة التاريخ .

ترتبط فلسفة التاريخ لدى فيكو كما لدى ابن خلدون بميلاد الحضارة ، انطلاقاً من إرساء دعائم الدولة والملك القائمة على العصبية (فشأناً العصبية عند ابن خلدون خطير جداً ، ولكن على الرغم من اعتماده عليها في تفسير حوادث التاريخ الإسلامي كله ، فانه لا يتناولها بالدراسة إلا من جانب واحد ، الذي يهيمه في الدرجة الأولى وهو مفعولها السياسي ، ومن هنا كان ما يهيم ابن خلدون في العصبية هو النتائج السياسية التي تترتب عليها في أعلى درجات وجودها، وأرقى مراحل تطورها أي تلك المرحلة التي تصبح فيها العصبية عبارة عن اتفاق الأهواء على المطالبة) (الجابري، 1994 ، الصفحة 166) ، في مجال السياسة ، إلى غاية المراتب والكسب في مجال الاقتصاد ، ثم الطابع الدائري في سيرورتها وقوانينها الحتمية . لكن ما يتميز به ابن خلدون ، هو إقامته لنسق علمي متكامل في تفسير الوقائع الاجتماعية بالربط فيما بينها ، بنفس

القدر الذي يستدعي علم التاريخ إلى جانب علم الاجتماع والانثروبولوجيا من اجل التأسيس لعلم العمران . وكلها تخضع لنفس القوانين الثابتة والأدوات المعرفية والمنهجية .

يلخص أهم هذه القوانين في كتاب المقدمة ، سواء المتعلقة بالملك والصراع الحضاري والثقافي ، بعبارات راسخة لا تزال صالحة إلى يومنا هذا في تفسير الأزمات التي نعيشها ، كقوله أن القضاء أساس الملك ، وان الطغاة يجلبون الغزاة ، وقاعدته المعروفة حول منطق الغلبة والتبعية : "أن المغلوب مولع أبداً بالاعتداء بالغالب ، في شعاره، وزيه، وثقلته، وسائر أحواله وعوائده . " (خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، 2004 ، الصفحة 283)

ففي مجال علم التاريخ ، نجده يركز على مجموعة من الأدوات والعناصر . حيث لم يقتصر عمله على المستوى المنهجي على تبني المنهج التحليلي الاستنباطي فحسب ، كما كان لدى الفلاسفة وأرسطو ، وكما سيلجأ إليه في كتاب المقدمة ، أين عمد إلى صياغة مجموعة من المفاهيم المؤسسة ، كمفهوم العصبية ، الذي يعد عماد فلسفة التاريخ لديه وأساس المفاهيم الأخرى المرتبطة به دونما انفصال . اذ يعتبر مفهوم العصبية بمثابة المركز والمحرك للآلة المفاهيمية الخلدونية ككل ، والذي بدونه يتعذر فهم نسقه العلمي والفلسفي . ثم يليه مفهوم دورة الحضارة ، التي يتم من خلالها تصوير سيرورة الدولة وتطورها من اصغر خلية تتكتل فيها مجموعة من العصبيات وتكبر بفعل الولاء لتتحول إلى دولة ثم إلى حضارة في ظرف زمني ووفق حتمية يتوالى فيها الحكم بين العصبيات وفقا لقوانين ثابتة . بل أضاف إليه المنهج العلمي الاستقرائي المستقصي للوقائع والجامع للحوادث الجزئية وتركيبها وتكوين مادة علمية تسمح بإعادة بناء الوقائع وفق أسس ومبادئ المنهج العلمي الحديث . كما اعتمد مقاربة نقدية تسمى بنقد المصادر ، والتي تتمحور حول جمع المصادر التاريخية وتمحيصها وتقييمها ، أخذا بعين الاعتبار أصالتها وصدقها .

وهو ما يتطلب خاصية أخرى ضرورية لدى المؤرخ ، والمتمثلة في الكفاءة أو القدرة العلمية . يعبر عنها في المقدمة بقوله : "النَّاقِد البصير قسطاس نفسه في تزيفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم".

وهي ملكة النقد والتمحيص والنظر العقلي في الأخبار والروايات ومدى صدقها وصحتها ، وكفاءته وتمكنه في مجاله ، وقدرته على استنباط المجهول من المعلوم . ثم التحليل بإتباع المنهج التفسيري وفق مبدأ السببية ، أين يلجا المؤرخ إلى تفسير الحوادث التاريخية بتقصي أسبابها ونتائج تلك الأسباب ، بدل الاكتفاء بوصفها فحسب . فالظاهرة التاريخية والاجتماعية إنما ليست نتيجة لمحض صدفة بل تكتنفها دائما عوامل وأسباب خفية تقف وراء حدوثها ، ويصف ذلك : " إن الحوادث في عالم الكائنات، سواء كان من الذوات أو الأفعال البشرية أو الحيوانية، فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها " ، وقوله : " هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض (خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، 2004 ، الصفحة 205-206).

ضف إلى هذا تركيزه واعتماده على عنصر السياق التاريخي ، أي النظر في الأحداث في إطارها الزمني ، والذي يهدف من خلاله إلى وضع الحادثة أو الواقعة في سياقها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الخاص بها ، وذلك لهدف تقريب فهمها أكثر ، وفهم خصوصيتها والبيئة التي تنتج إليها ، ما سيسهل تشخيصها والحكم عليها بطريقة موضوعية ومحيدة ، وهذا ما نفهمه من قوله : "ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الإعصار ومرور الأيام، وهو داء دوي شديد الخفاء، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة، فلا يكاد يتفطن له إلا الأحاد من أهل الخليفة ، وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدها وتلهم لا تدوم على وتيرة واحدة

ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال على حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول.

وفي الأخير نجده يرفض الأساطير والروايات الخارقة التي تمجد الأشخاص، والتي لا تحوز على نصيب من المعقولة، والحجة العقلية والمنطقية والتاريخية.

كذلك في مجال الأنثروبولوجيا، تبني ابن خلدون أهم خطوات المنهج العلمي التجريبي وهي الملاحظة المشاركة، وذلك من أجل دراسة المجتمعات والتي حل بها وتعايش معها، فمعروف عنه كثرة السفر والترحال بين الأمصار والبقاع، في مناطق شمال إفريقيا، من تلمسان إلى بجاية وفاس والقيروان والأندلس حتى مصر. كما كان معروف عليه تقلده للعديد من المناصب السياسية والإدارية والقضاء، مما جعله يكتسب خبرة وتجربة في شؤون التسيير وما يدور في دواليب الحكم وما يحاك من دسائس وتحالفات، بين الحكام فيما بينهم أو بين العصبية والدويلات.

هذا ما مهد له معرفة ودراسة هذه المجتمعات دراسة واقعية معمقة ومفصلة، سمحت له بتبني منهجية وصفية مفصلة لأنماط وإشكال تلك المجتمعات خصائصها الأنثروبولوجية والاجتماعية، وسماتها الثقافية.

كما عمد إلى تبني منهج الدراسة المقارنة، من أجل تشخيص نقاط التشابه والاختلاف بين المجتمعات والقبائل والمدن التي عايشها، وذلك لغاية استخراج ملامح التغير بينها والأمور والنقاط التي تشترك فيها، سواء في شكل الحياة أو تسيير شؤون العامة وتنظيم الحياة الاجتماعية أو السلوكيات الفردية والجماعية. لذلك نجده يميز الحياة بين حياة الجماعة وحياة الأفراد، ويقول بان حياة الجماعات هي المخولة بالدراسة لأنها هي التي تقبل الدراسة المفاهيمية نظرا لطابعها الشمولي، فهي ليست مجموع حياة الأفراد بل هي صيغ ناتجة عن تفاعل علاقات تماما كما يحدث في مجال الكيمياء.

6. خاتمة:

وفي الختام فان منهجية البحث عند ابن خلدون تكمن في مقدرته على الاستفادة من ايجابيات المنهج النقلي الذي اعتمدت عليه الكثير من المذاهب ، وكذلك ايجابيات المنهج العقلي الذي اتبعه الفلاسفة والمفكرون ، كما نجد ابن خلدون في دراسته للأحداث التاريخية والوقائع الاجتماعية تجاوز باتباعه الأساليب المختلفة في تعريفها والإجراءات المنهجية الضرورية للتأكد من يقينيتها ، تجاوز بدوره كذلك المسائل الفقهية والدينية التي كانت تشكل محور اهتمام الكثير من الفلاسفة والباحثين آنذاك.

وعليه فان أصالة منهجية البحث عند ابن خلدون تكمن في اعتماده على الإجراءات الموضوعية والابتعاد عن العوامل الذاتية التي تحد من قدرة الباحث على الكشف عن الحقيقة والوصول إلى المعارف العلمية وتفسيرها تفسيراً موضوعياً ، وكذلك البحث في أسباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها على جميع الأصعدة السياسية الاقتصادية والاجتماعية... الخ

إن النزعة التاريخية والمنهج العلمي عند ابن خلدون يكشف عن عمق التجربة الفكرية التي خاضها هذا المفكر الموسوعة ، بحيث استطاع من خلال هذا أن يحدث قطيعة معرفية مع أساليب التأريخ التقليدية ، ليفتح بذلك آفاقاً جديدة في فهم حركة المجتمع والدولة. فقد تجاوز ابن خلدون المنهج السردى الخبرى القائم على النقل غير النقدي ، إلى منهج علمي قائم على التفسير العقلي والتحليل السببي والاستقراء المنهجي للوقائع. حيث جعل علم التاريخ علماً قائماً بذاته ، له قوانينه ومفاهيمه وأدواته ، وربطه ارتباطاً وثيقاً بعلم العمران والاجتماع البشري ، وهذا ما جعله علامة ورائدا لعصره في مجال الفكر التاريخي والاجتماعي.

ان العلاقة بين النزعة التاريخية والمنهج العلمي في افكار ابن خلدون لا تقتصر على كونها مجرد تداخل في ، بل تمثل نموذجا متكاملًا لفهم التاريخ والعمران البشري بطرق أكثر تعقيدا وعمقا ، وعليه يمكن القول ان ابن خلدون قد نجح في دمج هذين العنصرين علم التاريخ وعلم الاجتماع ، فالنزعة التاريخية تساهم في فهم عميقا للوقائع والاحداث وتتكامل مع المنهج العلمي الذي يستند الى التحليل العقلاني والتفسير النقدي ، مما يعزز من موثوقية النتائج المستخلصة، كما كان له الفضل في ارساء اسس علم الاجتماع من خلال ما قدمه من تفسيرات لعوامل القوة والضعف في المجتمعات .

7. قائمة المراجع:

- 1-Megherbi, A. (1980). *La pensée sociologique d'ibn khaldoune*. Alger: Société nationale d'édition et de diffusion.
- 2- عبد الرحمان ابن خلدون. (2014). مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي . القاهرة: دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- 3- عبد الرحمان ابن خلدون. (2004). مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش (الإصدار الطبعة الاولى). دمشق، سوريا: دار يعرب.
- 4- محمد عابد الجابري. (1994). فكر ابن خلدون (العصبية والدولة). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.